Journal of Humanities and Social Sciences Studies
ISSN: 2663-7197
DOI: 10.32996/jhsss
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/jhsss

JHSSS
AL-KINDI CENTER FOR RESEARCH AND DEVELOPMENT

| RESEARCH ARTICLE

Mentioning of the General After the Special in the Holy Quran and its Rhetorical Secrets: A Rhetorical Study

ذكر العام بعد الخاص في القرآن الكريم وأسراره البلاغية: دراسة بلاغية

Dr. Roqaya Ibrahim Al-Haaj Badri Muhammed
Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, College of Science and Arts, King Khalid University, Dhahran Al-Janoub, Saudi Arabia
Corresponding Author: Dr. Roqaya Ibrahim Al-Haaj Badri Muhammed, **E-mail**: rhaj@kku.edu.sa

| ABSTRACT
Verbiage is considered one of the distinct rhetorical methods, Which we must take into account in our speech and writing, There are many types of verbiage, One of the most important is to mention the public after the private, The public mentioned after the private, Where they play an important role in directing the Qur'anic discourse, its significance and explanation, Characteristics of the rhetorical miracle of the Holy Quran, And they strengthen the meanings and confirm them. Verbiage does not have the main purpose of prolonging, but it comes to a benefit that the place requires and for rhetorical purposes understood from the context and evidence of conditions. In this research, I will work on highlighting this rhetorical aesthetics associated with the detailed book and the perfect model in our Arabic rhetoric.

| KEYWORDS
The Holy Quran; Verbiage; Mentioning the public after the private; rhetorical secrets.

| ARTICLE INFORMATION
ACCEPTED: 30 October 2022 **PUBLISHED:** 14 November 2022 **DOI:** 10.32996/jhsss.2022.4.4.23

الملخص:
يُعدُّ الإطناب من الأساليب البلاغية المتميّزة، التي لابد من مراعاتها في كلامنا وكتاباتنا ، وللإطناب أنواع متعددة، من أهمها ذكر الخاص بعد العام ، وذكر العام بعد الخاص ، حيث يؤديان دوراً هاماً في توجيه الخطاب القرآني ودلالته وشرحه، ويُبيّـنان مواطن الجمال البلاغي ، وخصائص الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم ، ويُقويّان المعاني ويؤكدّانها . والإطناب لا يكون الغرض الرئيسي منه هو الإطالة ولكنه يأتي لفائدة يتطلبها المقام، ولأغراض بلاغية تفهم من السياق وقرائن الأحوال ، وسأعمل في هذا البحث على إبراز هذه الجماليات البلاغية، المرتبطة بالكتاب المُحكم المفصّل والأنموذج الأمثل في بلاغتنا العربية.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الإطـناب، ذكر العام بعد الخاص، أسراره البلاغية

المقدمـــــة

ذخرت البلاغة العربية بالأساليب البديعة ، والدُرر الثمينة ، لا سيما وهي تنبع وتتدفَّق من منبعها الصافي ، و معينها الذي لا ينضب أبداً ؛ القرآن الكريم منشأ اللغة والفصاحة والبلاغة ، فحينما يخاطب العرب الفصحاء يُوجِز ويقصِّر ، وحين يخاطب اليهود يُطنب ويطوِّل ، كلٌ حسب ما يقتضيه حاله ، فالبلاغة هي مراعاة مقتضى حال السامعين.

وللإطناب مواضع يحسُن فيها ، فيضيف للكلام معانٍ وأغراض بلاغية لا يعرفها إلا متمرس باللغة ، وكذلك للإيجاز مواضع يحسُن فيها ، فكلاهما بليغ في موضعه ومقامه الذي يقتضيه.

ومنه ذكر العام بعد الخاص ؛ الذي يضيف معانٍ جديدة للكلام ، منها الاهتمام بشأن الخاص والعناية به وتفضيله وإظهار ميزته ، وإفادة العموم والشمول للمعاني.

Copyright: © 2022 the Author(s). This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC-BY) 4.0 license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/). Published by Al-Kindi Centre for Research and Development, London, United Kingdom.

تمهيد

مفهوم الإطناب

الإطناب لغةً

(طَنَبَ : الطَّنَبُ والطُّنُبُ معاً : حبل الخِباء والسرادق ونحوهما ، وعسكر مُطْنُب: لا يُرى أقصاه من كثرته ، وأطْنَبت الريحُ : إذا اشتدت في غبار ، وأطْنَبتْ الإبل إذا تبعَ بعضها بعضاً في السير ، وأطْنَبَ في الكلام : بالغ فيه ، والإطنابُ المبالغة في المدح أو الذم والإكثار فيه ، وفرسٌ في ظهره طَنَبٌ : أي طُول ، والإطنابُ : البلاغة في الوصف مدحاً أو ذماً) ([1]) .

وعلى هذا فإن حملناه على مقتضى مسمّاه كان معناه المبالغة في إيراد المعاني ([2]) .

الإطناب في اصطلاح البلاغيين

(هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة) ([3]) ، فهذا حدُّهُ الذي يميزه عن " التطويل " ، إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة ([4]) .

أو هو (تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوصاف البلغاء ، لفائدة تقوية وتوكيد المعنى) ([5]) .

متعارف عليها) ([6]) . عبارة من بأكثر الكلام من المقصود تأدية العلوي بأنه: (وعرّفه

ويمكننا أن نستنتج من خلال التعريفين أن المعنى اللغوي لا يختلف علن المعنى الاصطلاحي ، فكلاهما يعني التكثير والمبالغة في الشيء .

وكما تقدّم أنّ الإطناب هو تأدية المعنى بعبارات زائدة ، سواء أكانت هذه الزيادة كلمة أو جملة ، بشرط

أن تحقِّـــق هذه الزيادة غرضاً بلاغياً ، وللإطناب صور منها ([7]) ؛ ذكر العام بعد الخاص ، والغرض منه هو إفادة العموم مع العناية بشأن الخاص لذكره مرتين ؛مرةً وحده ، ومرةً مندرجاً تحت العام ([8]).

***قوله تعالى : ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾**([9]) .

قولوا أيُّها المؤمنون لأصحاب هذه الدعوى الباطلة من يهود ونصارى : آمنّا بالله وبالقرآن الذي أُنزل إلينا ، وآمنّا بما أُنزل على إبراهيم وأبنائه إسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وآمنّا بما أُنزل على الأنبياء من ولد يعقوب ، وآمنّا بالتوراة التي آتاها الله موسى ، والإنجيل الذي آتاه الله عيسى ، وآمنّا بالكتب التي آتاها الله الأنبياء جميعاً ، ونؤمن بهم جميعاً ([10]) .

(وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ) هو تعميم بعد التخصيص ، كيلا يخرج من الإيمان أحدٌ من الأنبياء ([11]).

بعد أن ذكر الإيمان بما أُنزل إلى الأنبياء تفصيلاً وتخصيصاً (إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى) - عليهم السلام – قال: **(وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ)** تعميماً للإيمان بكل الأنبياء المرسلين من الله تعالى المذكورين في الآية والذين لم يذكروا ، هو ذكر للعام بعد الخاص ، يفيد شمول الإيمان بكل نبي أرسله الله تعالى .

*** قال تعالى : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾** ([12]) .

أي كما أتممت عليكم نعمتي كذلك أرسلت فيكم رسولاً منكم ، يقرأ عليكم القرآن ، ويطهركم من الشرك وقبيح الفعال ، ويعلمكم أحكام الكتاب المجيد والسنة المطهرة ، ويعلمكم من أمور الدنيا والدين الشيء الكثير الذي لم تكونوا تعلمونه ([13]).

([1]) لسان العرب ، ابن منظور ، صححه أمين محمد عبد الوهاب ، و محمد الصادق العبيدي ، (8/205-206) مادة (طَنَبَ) ، ط الثالثة 1999م ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

([2]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، علق عليه د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، القسم الثاني ، ص344 ، ط2 ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

([3]) في البلاغة العربية ، علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، ص 187 ، ط 1 ، 2009م ، دار النهضة العربية بيروت لبنان .

([4]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، علق عليه د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، القسم الثاني ، ص344.

([5]) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، تدقيق يوسف الصميلي ، ص 201 ، المكتبة العصرية لبنان ، 2011م .

([6]) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي (3/ 318) ، ط1914م ، مطبعة المقتطف بمصر .

([7]) الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني ، أيمن أمين عبد الغني ، ص 389 ، الدار التوقيفية للتراث القاهرة .

([8]) علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، ص 191 ، ط1، 2009 م ، دار النهضة العربية بيروت لبنان .

([9]) سورة البقرة ، الآية (136)

([10]) المختصر في تفسير االقرآن الكريم ، جماعة من علماء التفسير ص 21، مركز تفسير للدراسات القرآنية ط3 ، 1436هـ ، مكتبة الملك فهد

([11]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي البغدادي ،(395/1) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

([12]) سورة البقرة ، الآية (151)

([13]) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ،(106/1) ، ط4، 1981م ، دار القرآن الكريم بيروت لبنان.

قوله تعالى : **﴿ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾** بعد قوله : **﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾** ذكر للعام بعد الخاص ، لإفادة الشمول ([14]) . لأنَّ الخاص وهو تعلم أحكام الكتاب العظيم والسنة المطهرة ، داخل تحت التعلُّم من أمور الدنيا والدين .

*** قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾** ([15])

.

يمدح الله تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، ثم لايتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات مَنّاً على مَن أعطوه فلا يمنون به على أحدٍ لا بقول ولابفعل ، " ولا أذى " لا يفعلون مع مَن أحسنوا إليه مكروهاً يحبطون به ماسلف من الإحسان ، ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك ؛ فثوابهم على الله ، ولاخوف عليهم فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة ، ولاهم يحزنون على ما خلفوه من الأولاد وما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها، لايأسفون عليها ؛ لأنهم قد صاروا إلى ما هو خيرٌ لهم من ذلك ([16])

قوله تعالى : **﴿ مَنًّا وَلَا أَذًى ﴾** من باب ذكر العام بعد الخاص ؛ لإفادة الشمول ، لأنَّ الأذى يشمل المَـــــنَّ ([17])، فالمـــنُّ نوعٌ من الأذى .

*** قال تعالى : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾** ([18]) .

أي نزل عليك يا محمد القرآن بالحجج والبراهين القاطعة ، **" مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ "** أي من الكتب المنزلة قبله المطابقة لما جاء به القرآن ، وأنزل الكتابين العظيمين " التوراة والإنجيل " من قبل إنزال هذا القرآن هداية لبني إسرائيل ، **" وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ "** أي جنس الكتب السماوية لأنها تفرّق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ([19]).

أي أنزل سائر ما يفرّق بين الحق والباطل ؛ فهو من باب عطف العام على الخاص ، حيث ذكر أولاً الكتب الثلاثة السابقة ، ثم عمّ الكتب كلها لإفادة الشمول مع العناية الخاصة ([20]).

*** قال تعالى : ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** ([21]) .

قل أيُّها النبيُّ آمنّا بالله إلهاً وأطعناه فيما أمرنا به ، وآمنّا بالوحي الذي أُنزل علينا ، وبما أنزله على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وبما أنزله على الأنبياء من ولد يعقوب ، وبما أُوتي موسى وعيسى والنبيون جميعاً من الكتب والآيات من ربهم ، لا نفرق

بينهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض ([22]).

قوله تعالى : (وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ) من باب عطف العام على الخاص ([23]). لأن موسى وعيسى داخلين تحت مسمى الأنبياء ، ليثبت أن الإيمان شامل لكل نبي أرسله الله تعالى .

*** قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** ([24]) .

يقول الله مخبراً بكفر النصارى في ادعائهم في المسيح ابن مريم ، أنه الله تعالى ، وهو عبد من عباد الله ، وخلقٌ من خلقه **(فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ...)** أي لو أراد ذلك فمن ذا الذي يمنعه منه ، أو يقدر على
صرفه ؟ وجميع الموجودات مِلكه وخلقه ، وهو القادر على ما يشاء ولا يسأل عما يفعل بقدرته وسلطانه ([25]).

(قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًاۗ) أي فمَن يمنع من قدرة الله وإرادته شيئاً إن أراد أن يُهلك من أدعوه إلهاً من المسيح وأمه ، وفي ذلك دليل على أنه وأمه عبدان من عباد الله تنفذ فيهما إرادة الله تعالى ، ومن تنفذ فيه لا يكون إلهاً ،

([14]) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ، (107/1) .

([15]) سورة البقرة ، الآية (262) .

([16]) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل عمر بن كثير (1/ 693) تحقيق سامي محمد السلامة ، ط2، 1999م ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض المملكة العربية السعودية .

([17]) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ، (171/1) .

([18]) سورة آل عمران ، الآية (4)

([19]) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ، (184/1) .

([20]) الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، ص 57 ، ط1 ، 2002م ، دار الآفاق العربية القاهرة .

([21]) سورة آل عمران ، الآية (84)

([22]) المختصر في تفسير االقرآن الكريم ، جماعة من علماء التفسير ص 60 .

([23]) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ، (216/1) .

([24]) سورة المائدة ، الآية (17) .

([25]) مختصر تفسير ابن كثير " القرآن العظيم " ، اختصار محمد كريم راجح ، (265/1) ، ط 7 ، 1999م ، دار المعرفة بيروت لبنان

وعطف عليهما (**وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًاۗ**) عطف للعام على الخاص ، وذلك على سبيل التوكيد والمبالغة في تعلُّق نفاذ الإرادة فيهما ، وليعلم أنهما مِن جنس مَن في الأرض ([26]).

*** قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾** ([27]) .

قال كفار قريش يخاطبون ربَّ العزّة : إن كان هذا القرآن حقاً منزلاً من عندك ، فأنزل علينا حاصباً وحجارة من السَّماء كما أنزلتها على قوم لوط ، أو ائتنا بعذاب مؤلم أهلِكنا به ، ([28]) .

إنزال الحجارة من السَّماء ، نوعٌ مخصوص من العذاب ، عطف على قوله : (**أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ**) ذاكراً العام بعد الخاص ، فالعذاب يشمل إنزال الحجارة من السماء وغيره من أنواع العذاب ، وقد عطف العام على الخاص تهكماً واستهزاءً وثقةً منهم أنه لن يحصل شيء مما طلبوه .

*** قال تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾**([29]) .

ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنّ الله يعلم أسرارهم وأحوالهم ، وما يخفونه في صدروهم وما يتحدثون به بينهم ؟ وأنه لا يخفى عليه شيء مما غاب عن الأسماع والأبصار والحواس ([30]) .

أي أنه يعلم أسرارهم التي في صدروهم وما تحدثهم به نفوسهم ، وما يتناجون به بينهم ، ثم عطف العام على الخاص بقوله : (**وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ**) لإفادة العموم أي أنّ الله يعلم كل غيب وشهادة .

*** قال تعالى : ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾** ([31]) .

(**قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ**) أي منهما جميعاً فإنّ الأرزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحدٍ منهما ، (**أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ**) أم مَن يستطيع خلقهما وتسويتهما ، أو مَن يحفظهما من الآفات ، (**وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ**) ، ومَن يحيي ويُميت ، أو مَن يُنشئ الحيوان من النطفة ، والنطفة منه ، (**وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ**) ومَن يلي تدبير أمر العالم ؟ وهو تعميم بعد تخصيص ([32]) . تنويهاً بشأن الخاص وتذكيراً بآلاء الله ونعمه على خلقه ، ثم إفادة عموم قدرته تعالى على تدبير كل الأمور من أرزاق وغيرها فهو المتصرف بالكون بكل ما فيه .

*** قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾** ([33]) .

ولقد آتيناك - أيُّها النّبي – فاتحة القرآن ، وهي سبع آياتٍ تتكرر في كل صلاة ، وآتيناك القرآن العظيم ([34]) .

المراد بالسبع المثاني : سورة الفاتحة ، وقد سُميت مثاني لأنها تُثنى بما يُقرأ بعدها ، وعلى هذا يكون ذكر القرآن العظيم بعدها من قبيل ذكر العام بعد الخاص تنويهاً بشأن الخاص ، حيث ذُكر مرتين مرةً مستقلاً ، ومرةً مندرجاً في العام ([35]).

*** قال تعالى : ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴾**([36]) .

فيه وجهان : أحدهما : أن يُراد أنَّ الليل والنَّهار آيتان في أنفسهما ، والثاني : أن يُراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر ، فمحونا آية الليل وهي القمر حيث لم يخلق لها شعاعاً كشعاع الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة ، وجعلنا الشمس ذات شعاع يُبصر في ضوئها كلَّ شيء ، لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم ، ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين أي جنس والحساب وما تحتاجون إليه منه ، ولولا ذلك لما علم أحدٌ حسبان الأوقات ولتعطلت الأمور ([37]).

([26]) تفسير البحر المحيط ، محمد يوسف أبي حيّان التوحيدي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، (465/3) ، ط3 ، 2010م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

([27]) سورة الأنفال ، الآية (32) .

([28]) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ، (1 / 502) .

([29]) سورة التوبة ، الآية (78) .

([30]) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني (552/1) .

([31]) سورة يونس ، الآية (31) .

([32]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ، (111/3-112) ط1 ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .

([33]) سورة الحجر ، الآية (87)

([34]) التفسير الميسّر ، نخبة من العلماء ، ص226 ، ط2 2009م ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

([35]) من بلاغة النظم القرآني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، ص225 ، ط1 ، 2010م ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة .

([36]) سورة الإسراء ، الآية (12) .

([37]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، ص591 ، ط3 ، 2009، دار المعرفة بيروت لبنان

والحساب يشمل حساب الأيام و الشهور والفصول فعطفه على (عدد السنين) من عطف العام على الخاص ؛ للتعميم بعد ذكر الخاص اهتماماً به ([38]) .

*** قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾**([39]) .

أي صلوا واعبدوا ربكم وحده وأفعلوا الخير كصلة الرحم ومكارم الأخلاق لعلكم تفوزون بالبقاء في الجنة ([40]) .

في هذه الآية ذكر للعام بعد الخاص ؛ لإفادة العموم مع العناية بشأن الخاص ، بدأ بخاص ، ثم بعام ثم بأعم ([41]) .

*** قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾**([42]).

يذكر تعالى ما جعل لخلقِه من الأنعام من المنافع وذلك أنّهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرثٍ ودم ، ويأكلون حملانها ، ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ويركبون على ظهورها ، ويحمِّلونها الأحمال الثِقال إلى البلاد النائية عنهم ([43]) .

خصّ الله تعالى بذكره مِن نعمه علينا الأنعام ، وخصَّ منها ألبانها ، تذكيراً بآلائه علينا وأنّ فيها من دلائل قدرته وعظمته ما يدل على أنه الخالق ، ثم جاء بالعام بعد أن خصّص بقوله : (**وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ**) تنبيهاً على أن ألبانها من أكثر النعم منفعة للإنسان ، ثم لتعميم النفع على غيرها من المنافع كالأكل والحمل ، والملبس .

قد ورد عن أنس رضي الله عنه (**أنّ ناساً كان بهم سقمٌ قالوا : يا رسول الله آونا وأطعِمنَا . فلما صحُّوا قالوا : إنّ المدينة وخمة فأنزلَهم الحرّة في ذودٍ له فقال : اشربوا من ألبانها ...)** ([44]) . في هذا الحديث دلالة على أنّ ألبان الإبل غير أنها شراب فهي دواء .

([45]) . *** قال تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾**

يعني مكة التي عظّم الله حرمتها فجعلها حرماً آمناً ، وله كل شيء خَلقاً ومُلكاً ، وأمرتُ أن أكون من المنقادين لأمره الموحِّدين له ([46]) .

في هذه الآية ذكر للعام بعد الخاص ؛ حيث اختص مكة بالذكر وربطها بعبادة الله ، ثم عطف عليها العام أي أُمرتُ أن أعبد ربّ هذا البلد المحرم ومَن خلق كل شيء ، ويملكُ كل شيء ، وإنما اختص مكة بالذكر تشريفاً وتعظيماً وتنويهاً لأمر الخاص ، وأفاد العموم بذكر العام ، أي وأمرتُ أن أعبد ربّ كل شيء .

لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرا﴾ ([47]) . *** قال تعالى : ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ**

أي ألزمْنَ بيوتكُنَّ ، والتبرج هو التكسر والتغنج ، وقيل هو :التبختر ، وقيل : إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال ، وقيل الجاهلية هي : ما بين عيسى ومحمد - عليهما السلام – ، وقيل : في زمن داوود وسليمان - عليهما السلام – كانت المرأة تلبس قميصاً غير مخيط من الجانبين فيُرى خلقها فيه . والرجس الإثم الذي نهى الله النساء عنه . أهل البيت : نساء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهنَّ في بيته([48])

أمرهُنَّ أمراً خاصاً بالصلاة والزكاة ، ثم جاء به عاماً في جميع الطاعات (**وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ**)، لأنّ هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات مَن اعتنى بهما حقّ اعتنائه جرَّتاه إلى ما ورائهما ([49]).

في ذكر العام بعد الخاص هنا تنويه بأمر الخاص والعناية به ، لأنهما من أعمدة الإسلام وأركانه التي يقوم عليها ، وهما داخلتان في الطاعة على الأمر بعمومها في الآية .

*** قال تعالى : ﴿ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾**([50])

([38]) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، (15 / 45) الدار التونسية للنشر 1984 ، تونس .

([39]) سورة الحج ، الآية (77) .

([40]) القرآن الكريم مع تفسير الجلالين ، ص 341 ، ط1 ، 1320هـ ، دار المعرفة سوريا دمشق .

([41]) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني (301/2) .

([42]) سورة المؤمنون ، الآية (21) .

([43]) مختصر تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) إسماعيل بن كثير ، اختصار محمد كريم راجح ،ج2 ، ص 106 ، ط7 ، 1999م ، دار المعرفة بيروت لبنان .

([44]) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب الطب ، باب الدواء بألبان الإبل ، ص 1442 ، ح رقم 5685 ، ط1، 2002م، دار ابن كثير للنشر والتوزيع دمشق ، بيروت .

([45]) سورة النمل ، الآية (91) .

([46]) الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنته من السنة وآي الفرقان ، محمد أحمد أبي بكر القرطبي ، تحقيق د.عبد الله عبد المحسن التركي وآخرون ، (16/225–226) ، ط 1، 2006م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان .

([47]) سورة الأحزاب ، الآية (33)

([48]) تفسير البغوي ، معالم التنزيل ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون ، (6/349–350) ، ط1 ، 1989م ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض .

([49]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، ص 855 .

أي وسخّرناها لهم ، فمنها ما يركبون في الأسفار ، ويحملون عليها الأثقال ، ومنها ما يأكلون ([51]).

في قوله تعالى : **(وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ)** ذكر للعام بعد الخاص ، بعد قوله : **(فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ)** ، وفائدته تفخيم النعمة ، وتعظيم المِنـَّة ([52]) .

*** قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** ([53]) .

أي الذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم بالعبادة ، فقد غلطوا أقبح غلط ، فالله هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته ، وهو يتولى عباده بتدبيره ونفوذ القدر فيهم ، ويتولى المؤمنين خصوصاً ، وهو المتصرف بالإحياء والإماتة ، ونفوذ المشيئة والقدرة([54]).

في قوله : **(وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** فهو لإثبات هذه الصفة لله تعالى تذكيراً بإنفراده بتمام القدرة ([55]) .

فقد ذكر العام بعد الخاص ، للتنويه بشأن الخاص لأن الإماتة والإحياء جنس من أجناس قدرة الله تعالى على كل شيء .

*** قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾**([56]) .

قيل : القنوط هو الإياس ، والغيث ما كان نافعاً في وقته ، وينشر رحمته بالغيث فيما يعمُّ ويخصُّ ، وهو الولي المنعِم والحميد والمستحمد ([57]).

***في قوله تعالى : (وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ)** عطف للعام على الخاص ؛ فالغيث خاص والرحمة عام ([58]) . للتذكير بكمال النعمة ، والعناية بشأن الخاص ، وخصها بالذكر دون غيرها من النعم الدنيوية ، لأنها أصل دوام الحياة للناس والدواب .

*** قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾**([59])

أي واذكر لهم وقت قوله عليه السلام لأبيه " آزر " وقومه المكبين على التقليد ، كيف تبرّأ مما هم فيه ([60]) .

اختص الأب هنا بالذكر لأنه الأقرب وله فضل على ابنه إبراهيم _ عليه السلام- ، ولأنّ الخوف على الأقرباء يكون أكثر ولاسيما الوالدين ، ثم عمَّم بذكر قومه لأنهم يأتون في المرتبة الثانية من القرب بعد أبيه ، وليشملهما التبرؤ مما يعبدون .

*** قال تعالى : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾** (61).

أي يُطاف على هؤلاء الذين آمنوا بالله ورُسله في الجنة ، بالطعام في أوانٍ من ذهبٍ , وبالشراب في أكوابٍ من ذهب ، وفيها لهم ما تشتهيه أنفسهم وتلّذه أعينهم ، وهم ما كثون فيها أبداً (62) .

فيها ذكر للعام بعد الخاص **(وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ)** بعد قوله : **(يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ)** (63) . للترغيب بدخول الجنة فيفعل السامع الأفعال التي توصله لنعيم الجنة ، ثم ذكر العام ليعمّم نِعم الجنّة ، وأنه لا يحيط به وصف فهو شامل لكل ما تشتهيه الأنفس .

*** قال تعالى : ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾** (64)

أي ليُعذِب هؤلاء في الدنيا بإيصال الغم إليهم بسبب علو كلمة الإسلام ، وبتسليط النبي عليهم قتلاً وأسراً ، وفي الآخرة بعذاب جهنم ، وإنما قُدِّم المنافقين على المشركين لأنّهم كانوا أشد ضرراً على المؤمنين من الكفار المجاهرين ؛ لأن المؤمن يتوقَّى المجاهر ويخالط المنافق لظنه إيمانه (65).

([50]) سورة ياسين ، الآية (72-73) .

([51]) التفسير الميسّر ، نخبة من العلماء ، ص 445 .

([52]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (3/ 26) .

([53]) سورة الشورى ، الآية (9) .

([54]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، (887/3) ، ط2002،2م ، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض .

([55]) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، (25/ 40) .

([56]) سورة الشورى ، الآية (28) .

([57]) النكت والعيون تفسير الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، (2/5) ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

([58]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني (148/3) .

([59]) سورة الزخرف ، الآية (26) .

([60]) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي البغدادي (76/25) .

([61]) سورة الزخرف ، الآية (71) .

([62]) التفسير الميسّر ، نخبة من العلماء ، ص 494 .

([63]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني (3/ 168) .

([64]) سورة الفتح ، الآية (6) .

([65]) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، (86/26) ، ط1 ، 1946م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

فالمنافقين والمنافقات يمثلان الخاص ، و المعطوف عليهما وهو " المشركين والمشركات " يشملهما ، وخصهما بالذكر للتنبه لشدة خطرهم ، وليوضح أنَّ النفاق درجة من درجات الإشراك بالله .

*** قال تعالى : ﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ﴾** (66) .

قال آمراً لعباده بالسجود له والعبادة ، أي : اخضعوا له ، وأخلصوا ، ووحِّدوا (67) .

في هذه الآية عطف للعام على الخاص (68) ، لأنَّ السجود هو نوع العبادة (والمقصود به الصلاة) ، والعبادة تشمل السجود وغيره من مما يتعبد به لله تعالى . وقد جاء في البحر المحيط : (فاسجدوا) أي : صلُّوا له (69) .

***قال تعالى : ﴿إِنْ تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾** (70) .

قال عمر بن الخطاب : ناديت فقلت : يا رباح أستأذن لي على رسول الله ، فقلت : يارسول الله ما يشقُّ عليك من أمر النساء ، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل ، وأنا وأبوبكر والمؤمنون معك ، فنزلت هذه الآية (71).

ذكر جبريل مفرداً له من بين الملائكة تعظيماً له وإظهاراً لمكانته عنده (72) ، فخصّه بالذكر ثم ذكر الملائكة بعده ليعمّم أن السند له صلى الله عليه وسلم يكون كذلك من كلّ الملائكة وليس جبريل وحده .

***وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ *وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ* وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ * قال تعالى : ﴿ يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ** (73) .

أي يودُّ الكافر يومئذ ويتمنى أنه يَفتدي من عذاب الله إياه ذلك اليوم ببنيه ، وزوجته وأخيه ، وعشيرته التي تضمّه إلى رحله ، وبمَن في الأرض جميعاً من الخلق ، ثم يُنجيه ذلك من عذاب الله إياه ذلك اليوم ، وقد بدأ بذكر البنين ثم الصاحبة ، ثم الأخ إعلاماً منه أن الكافر من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء يفتدى نفسه لو وجد إلى ذلك سبيلاً ، بأحبِّ الناس إليه (74) .

***وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ* ... *وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا)** وذلك لبيان هول الموقف فيها ذكر للعام بعد الخاص في قوله : **(لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ** (75) . لأن النجاة متى توفرت له حتى ولو كانت بأعلق الناس بقلبه لأفتدى نفسه ، وحتى ولو حدث الافتداء بكل مَن في الأرض لفعله حتى ينجو من العذاب ، وفي ذكر العام مبالغة في وصف هول الموقف .

*** قال تعالى : ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾** (76).

قيل إنه أراد أباه وأُمه ، وقيل : أباه وجده ، **(وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا)** قيل : صديقي الداخل منزلي أو من دخل مسجدي أو من دخل في ديني ، **(وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۖ)** أراد قومه ، أو جميع الخلق إلى قيام الساعة ، ولاتزد الظالمين إلا هلاكاً أو خساراً(77) .

قوله : **(المؤمنون والمؤمنات)** لفظان عامان يدخل فيها كل ما ذكر قبلهما ، وكأنَّ الخاص ذُكر مرتين ، مرةً منفرداً ، ومرةً على العموم ، وفي هذا عناية واهتمام بذكر الخاص ، والتنبيه على فضله ، ولإفادة العموم أي أن الدعوة بالمغفرة تشمل عموم المؤمنين والمؤمنات (78).

*** قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي**

([66]) سورة النجم ، الآية (62) .

([67]) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير ، تحقيق مصطفى السيد وآخرون ، (284/13) ، ط1، 2000م ، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر .

([68]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (281/3) .

([69]) تفسير البحر المحيط ، محمد يوسف أبي حيّان التوحيدي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون (167/8) .

([70]) سورة التحريم ، الآية (4) .

([71]) تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير ، تحقيق مصطفى السيد وآخرون ، (55/14) .

([72]) الكشاف ، للزمخشري ، ص 1120 .

([73]) سورة المعارج ، الآيات (11-14) .

([74]) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق د. عبد الله عبد المحسن التركي ، (259/23) ، ط1 ، 2001م ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع .

([75]) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني (448/3) .

([76]) سورة نوح ، الآية (28) .

([77]) النكت والعيون تفسير الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، (6/ 106) .

([78]) من بلاغة النظم القرآني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، ص144.

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ (79) .

يقول : وأقيموا الصلاة المفروضة وهي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ، وأعطو الزكاة المفروضة في أموالكم ؛ أهلَها ، وأنفقوا في سبيل الله من أموالكم ، وما تقدموا أيُّها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقةٍ أو نفقةٍ تُنفقونها في سبيل الله أو غير ذلك من نفقة وجوه الخير أو عملٍ بطاعة الله ، أو أعمال الخير ، طلبَ ما عند الله ، تجدوه عند الله يوم القيامة ، وهو خيراً لكم مما قدمتم في الدنيا وأعظم ثواباً (80) .

ذكر العام بعد الخاص **(وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ)** عمَّم بعد ذكر الصلاة ، والزكاة والإنفاق ليعمَّ جميع الصالحات (81) ، وأنّ أي خير يفعله الإنسان في الدنيا ابتغاء وجه الله لن يضيع عند الله وسيجده حاضراً يوم القيامة .

*** قال تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴾** (82) .

أي يوم يقوم جبريل والملائكة مصطفين ، لا يتكلمون بشفاعة لأحد إلا مَن أذِن له الرحمن أن يشفع وقال سداداً ككلمة التوحيد(83) .

الروح هو " جبريل " داخل في الملائكة ، فقد ذُكر مرتين مرةً مستقلاً ، ومرةً ضمن الملائكة تنبيهاً على جلال قدره (84)

، فذكر العام بعد الخاص تنويهاً بشأن الخاص ، مع مشاركة القيام وعدم التكلم مع العام فالكل سواء في هذا الموقف

الخاتـــمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تناول هذا البحث موضوعاً مهماً من موضوعات البلاغة العربية ، وقد زادت أهميته ، وعلت مكانته وشَرُف بارتباطه بالقرآن الكريم ؛ ألا هو مبحث الإطناب عموماً وذكر العام بعد الخاص على وجه الخصوص ، - وقد تتبعته في آيات القرآن الكريم وعلى ترتيب سور القرآن في المصحف - مبيـــّنةً لأسراره وأغراضه البلاغية التي يجيء عليها وفقاً لما يقتضيه المقام أو مقتضى الحال ، وما يحيط بهما من قرائن وسياق ، فيؤدي استخدامه فيها إلى تقوية المعنى وتوضيحه ، وفصاحته ، وقد ذخرت الآيات القرآنية بهذا النوع من الإطناب مع تعدد موضوعات الآيات واختلافها ، وتعدد الأغراض البلاغية التي أتى عليها .

ولم أتناول أيَّـــاً من الآيات التي لم يتضح فيها هذا اللون أو لم يأتِ صريحاً ، وتركت الآيات التي تحتمل آراءً تفسيرية متعددة ، وكان فيها ذكر للعام بعد الخاص مبني على تفسير غير راجح .

وقد توصلت إلى النتـــــــائج التالية :

1/ كثـــــــرُ ذكر العام بعد الخاص في القرآن الكريم ، مما يدلُّ على قيمته البلاغية وقدرته على إيصال المعاني.

2/ تعددت الأسرار البلاغية لذكر العام بعد الخاص في القرآن الكريم ما بين إفادة التوكيد والمبالغة ، أو للتذكير بكمال النعمة وتفخيمها ، أو للاستهزاء والتهكم ، أو لإفادة العموم والشمول في المعنى ، أو تعظيم لشأن الخاص والاعتناء بأمره ، أو بيان فضيلته وتمييزه عن غيره ، أو لبيان شرفه وعظم قدره ، أوللعناية والاهتمام به ، أو لبيان خطره ،على اختلاف موضوعات الآيات .

3/ استخدام هذا الأسلوب في الكلام يضيف إليه قوةً ووضوحاً ، وجمالاً تعبيرياً ، وفصاحةً .

4/ توزع عطف العام على الخاص في حوالي سبع وعشرين آيةً ، على مدار سور المصحف .

5/ الإلمام والإحاطة بهذا الأسلوب وبأغراضه البلاغية يساعدنا على فهم القرآن الكريم.

(هذا البحث تم دعمه من خلال البرنامج البحثي العام بعمادة البحث العلمي – بجامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية رقم المشروع 271-1443هـ) .

(79) سورة المزمل ، الآية (20) .

(80) تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق د. عبد الله عبد المحسن التركي ، (23/393-399) ..

(81) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (3/ 471) .

(82) سور النبأ ، الآية (38) .

(83) المختصر في تفسير القرآن الكريم ، جماعة من علماء التفسير ، ص 583 .

(84) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، (3 /511) .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر : القرآن الكريم

ثانياً : المراجع

1/ الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، ط1 ، 2002م ، دار الآفاق العربية القاهرة .
2/ أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي ، عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
3/ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر 1984 ، تونس .
4/ تفسير البغوي ، معالم التنزيل ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون ، ط1 ، 1989م ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض .
5/ تفسير البحر المحيط ، محمد يوسف أبي حيّان التوحيدي ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، ، ط3 ، 2010م ، دار
6/ تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق د. عبد الله عبد المحسن التركي ، ط1 ، 2001م ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع .
7/ تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل عمر بن كثير ، تحقيق سامي محمد السلامة ، ط2، 1999م ' دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض المملكة العربية السعودية .
8/ تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير ، تحقيق مصطفى السيد وآخرون ، ط1، 2000م ، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر .
9/ تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، ط1 ، 1946م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
10/ التفسير الميسّر ، نخبة من العلماء ، ط2 2009م ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 11/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط2002،2م ، دار السلام للنشر والتوزيع الرياض .
12/ الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنته من السنة وآي الفرقان ، محمد أحمد أبي بكر القرطبي ، تحقيق د.عبد الله عبد المحسن التركي وآخرون ، ط 1، 2006م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان
13/ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، أحمد الهاشمي ، تدقيق يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية لبنان ، 2011م
14/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الألوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .
15/ صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، كتاب الطب ، باب الدواء بألبان الإبل ، ح رقم 5685 ، ط1، 2002م، دار ابن كثير للنشر والتوزيع دمشق ، بيروت .
16/ صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ، ط4، 1981م ، دار القرآن الكريم بيروت لبنان.
17/ الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي ، ط1914م ، مطبعة المقتطف بمصر 18/ علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، ط1، 2009 م ، دار النهضة العربية بيروت لبنان .
19/ في البلاغة العربية ، علم المعاني ، د. عبد العزيز عتيق ، ط 1 ، 2009م ، دار النهضة العربية بيروت لبنان .
20/ القرآن الكريم مع تفسير الجلالين ، ص 341 ، ط1 ، 1320ه ، دار المعرفة سوريا دمشق .
21/ الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني ، أيمن أمين عبد الغني ، الدار التوقيفية للتراث القاهرة .
22/ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، محمود بن عمر الزمخشري ، ط3 ، 2009، دار المعرفة بيروت لبنان
23/ لسان العرب ، ابن منظور ، صححه أمين محمد عبد الوهاب ، و محمد الصادق العبيدي ، مادة (طَنَبَ) ، ط الثالثة 1999م ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان .
24/ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير ، علق عليه د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانة ، القسم الثاني ، ط2 ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر .
25/ مختصر تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) إسماعيل بن كثير ، اختصار محمد كريم راجح ،ج2 ، ط7 ، 1999م ، دار المعرفة بيروت لبنان .
26/ المختصر في تفسير االقرآن الكريم ، جماعة من علماء التفسير ، مركز تفسير للدراسات القرآنية ط3 ، 1436هـ ، مكتبة الملك فهد
27/ من بلاغة النظم القرآني دراسة بلاغية تحليلية لمسائل المعاني والبيان والبديع في آيات الذكر الحكيم ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، ط1 ، 2010م ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة .
28/ النكت والعيون تفسير الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .